إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ش/ آذار ٢٠١٣م
صص ٤٨ ـ ٢٧

مراتب النفس عند ناصر خسرو

فاطمة حيدرى*
زرين‌تاج پرهيزگار**

الملخص

نلاحظ من خلال البحث والدراسة فى آثار وديوان فيلسوف القرن الخامس الهجرى، الحكيم أبى معين ناصر خسرو قباديانى البلخى، أنه يعتبر الإنسان خلاصة التكوين وموازيا للعالم الكبير. ويعتقد الشاعر أن الإنسان يتكوّن من جزءين وهما النفس والجسم. والنفس هى الجزء الحى الذى لايموت والجسم هو الجزء الحى الفانى، وللنفس مراتب أعلاها وأرقاها، العاقلة الحافظة لسائر النفوس. ويشير ناصر خسرو إلى مراتب النفس بتعابير مصطلحة بالعربية والفارسية. هذه المقالة تسلط الضوء علي مراتب النفس المختلفة عند ناصر خسرو التى نجدها فى آثاره المنثورة وديوان أشعاره.

الكلمات الدليلية: ناصر خسرو، النفس النباتية، والحسية، والناطقة، والعاقلة، والقدسية.

*. أستاذة مشاركة بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران.
**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران.
fateme_heydari10@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هومن ناظميان
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/٢٥ش تاريخ القبول: ١٣٩٢/٤/٢ش

Archive of SID
www.SID.ir

المقدمة

إن النفس قوة يستمد الجسم وجوده منها وحسب نوعيتها ومرتبتها تتعين مرتبة الجسم وشأنه وفى الواقع بواسطة النفس، يتحول الجسم إلى النبات أو الحيوان أو الإنسان. إن آثار الحياة تظهر مع النفس وتنمو وتتغذي بالنفس، ثم يحدد الحس والعلم والتميز والحركة الإرادية، مراتب النفس حيوانية كانت أم إنسانية. وتنقسم النفس باعتبار غلبة الرذائل والفضائل إلى النفس الأمّارة واللوامة والمطمئنة. يعتقد العلماء والعرفاء «أن وجود الإنسان لا ينحصر علي الجسم والصورة فحسب، بل هناك جزء آخر للإنسان غير المادة والصورة وهو فى مقام التجريد ويدعي النفس.» (نراقى، ١٣٧٨ش: ١٨) و«لايمكن إدراك المعقولات والتدبّر والتصرف فى الجسم المحسوس من خلال قواه وأدواته.» (خواجه نصير، ١٣٥٦ش: ٤٨) كما «أن النفس تتلقب بأسماء متنوعة حسب المراتب المختلفة التى تنالها وعلي السالک أن يسعي فى تربية النفس وتحصيل المعرفة الأخلاقية لأنها أمّارة بالسوء.» (باخرزى، ١٣٥٤ش: ١٠٣)

يعتقد شيخ الإشراق أنه «كلما غلبت النفس علي الجسم كلما أصبح الظاهر والباطن خاضعا لها ما يقرّبه إلى عالمه أكثر فأكثر ويتقرّب إلى الكمال وتدعي هذه النفس، النفس المطمئنة والكلمة الطيبة، وكلما غلب الجسم علي النفس أصيبت بالضعف والعجز وتسمي النفس اللوامة.» (سهروردى، ١٣٧٢ش: ٣٧٣)

بناء علي هذه الآية ﴿فى قُلُوبِهِم مَرضٌ فَزادَهُم اللهُ مَرَضا﴾(البقرة: ١٠) فإن المرض نوعان؛ مرض القلوب ومرض الأبدان. ينشأ مرض القلب بأمر من النفس الأمارة بالسوء ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ (يوسف: ٥٣) وفى حال ندم النفس علي القصور فيما يستوجب عليها، تبدأ فى ملامة نفسها وتشعر بالحسرة علي أيامها حتى تتولد لديها نظرة الحقارة والمذلة. وإذا ما أخضع العبد النفس الأمارة للرياضة بغرض تهذيب الأخلاق النفسية، تتحول حينئذ إلى النفس المطمئنة يشملها الخطاب الربّانى القائل بـ﴿يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربّک﴾ (الفجر: ٢٨-٢٧)

بيندیش تا چیست مردم که او را سوی خویش خواند ایزد دادگستر

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٤٥)

Archive of SID

www.SID.ir

_ فكّر ما هى قيمة بنى آدم الذى يدعوه الرب العادل إلى نفسه.

إنّ النفس تتعلق بمفهومها الأمّارة بأدنى مراتب كمال الجسم الإنسانى، وبمفهوم النفس الناطقة والمطمئنة تشمل أرقي مراتبها. (زرين كوب، ١٣٦٨ش: ٦١٩) وفى الحقيقة أنشئ الكون لكى يترقي ويسمو نحو ما هو أفضل وذلک لايأتى إلا وفق الحظوة والالتفات ومن حيث النزول من المرتبة العليا إلى المرتبة الدونية. وأما البقاء والكمال فهما مرهونان بالاستفاضة المستمرة التى تتلقاها المرتبة الدونية من المرتبة السامية. وقد جاء فى مصباح الهداية «أن النفس الناطقة هى عبارة عن الجوهر البخارى اللطيف لأجزاء البدن وتسمي الروح الحيوانية أو الطبيعية.» (الكاشى، ١٣٨٨ش: ٨٢)

إن النفس أشد عداء من الشياطين والدنيا والكفار «ما من مؤمن إلا وله أربعة أعداء.» (نجم رازى، ١٣٨٧ش: ١٧٣) والنفس الأمّارة كافرة صعبة الانقياد.

كافر است اين نفس نافرمان چنين كشتن او كى بود آسان

(عطار، ١٣٧٤ش: ١١٠)

_ إن هذه النفس المتمردة لا يمكن قتلها بهذه السهولة.

وللوصول إلى النفس الناطقة ينبغى التخلص من النفس الأمارة .

نفس را چون جعفر طيار بر كن بال و پر گر بـه بالا پـر و بال مرغ جـان می بايدت

(عطار، ١٣٦٨ش: ٤٣)

يقول عطار: إذا أردت الوصول إلى الروح المتعالية عليک التخلص من النفس (الأمارة) كما فعل جعفر الطيار.

فى الواقع إن تجاهل الماديات وتعلقات الجسم يهيّء الوصول إلى مرتبة النفس المطمئنة ويجعل صاحب النفس المطمئنة يستعد لتلبية نداء الحق.

بی‌حس و بی گوش و بی‌فكرت شويد تا ندای ارجعی را بشنويد

(مولوى، ١٣٦٥ش: ٣٦)

_ عليكم أن تفقدوا الحس والسمع والفكر حتى تسمعوا صوت ارجعى إلى ربک.

النفس من وجهة نظر الفلاسفة الإسماعيلية

إن النفس تأتى فى المرتبة الثانية من حيث تركيب الصوادر والخلق الإلهى، فيعتبر

www.SID.ir

العقل، أول مخلوق فى عالم المحدثات وبواسطته تصدر النفس من عالم الأمر الإلهى. «إن الأمـر الإلهى عبارة عن إيجـاد الكون والكون لم يظهر فى الوجود إلا بالعقل والعقل هو أول المخلوقات والعقل بذرة العالمين.» (السجستانى، ١٣٦٧ش: ٢٣-٢٢) و«المخلوق الثـانى يتمثل فى النفس وقد نزل علي هيئة إنسـان.» (نفـس المصدر: ٢٧) و«من نوره اسـتفاض الإنسـان وبه يدرک التوحيد ولولا ذلک النور لما وصل الإنسان إلى معرفة البارى سبحانه وحينها لافرق بينه وبين البهائم.» (ناصر خسرو، ١٣٨٤ق: ١٤٥) و«هذا النور يسـمي النفس الناطقة وبها يتكلّم الإنسـان.» (نفس المصدر: ١٤٧) و«النفس فى ذاتهـا تامة لأنهـا منبعثة من العقـل الأول الذى هو كامل وتام.» (أبـو حاتم الرازى، ١٣٧٩ش: ٣٠) وبنـاء علي هذا فإن «النفس أمـر غير مكتمل يكون بحاجة إلى فوائد العقل.» (نفس المصدر: ٢٣) و«النفس معلول من العقل والعقل علّته.» (كرمانى، ١٩٦٠م: ٥٤) ونزل فى هذا العالم علي هيئة الإنسان. ذلک لأن النبات و الحيوان يفتقدان التوازن المطلوب فى عالم الطبيعة و النفس فى وجود الإنسان تستطيع أن تقع فى الحياة الحسية و التـوازن العقلى (السجسـتانى، ١٣٦٧ش: ٢٧) وبعبارة أخري، تعتبر النفس منشـأ للحياة والإدراک الإنسانى. وللنفس مراتب بأنواع مختلفة وإن كانت فى درجتها السفلي لا تختلف كثيرا عن النفس الحيوانية التى لها منشأ الحياة والإدراک المحدود الخاص بها. ويمكن القول إنّ اختلافها مع الإنسـان هو أن الإنسـان بإمكانه تجاوز النفس الحيوانية والوصول إلى النفس الإنسانية التى تختص به أساسا.

إن النفـس لديها قـوة كامنة لكسـب الكمال ويتحقـق ذلک باتصالهـا مع المعلم الروحـانى، وتتصل النفس الناطقة مـن جهة، بالعالم المادى ومن جهـة أخري، بالعالم القدسى والإنسان نفسه المسؤول عن دفعها إلى الخير والشر ﴿ونَفْسٍ وَما سَوّاها فَأَلهَمها فُجُورَها وَتقْواها قَدْ أفلَحَ مَن زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس: ٨-٩)

النفس من وجهة نظر ناصر خسرو

تطرق ناصر خسـرو إلى النفس وأنواعها المتمثلـة بالمراتب التى تحظي بها فى آثاره المنظومة والمنثورة علي حد سواء. وقد أشار بصورة عامة إلى النفس الكلية التى أطلقنا عليها النفس الثانية والنفس الجزئية التى هى أثر من آثار النفس الكلية. ويتخذ للنفس

www.SID.ir

الجزئية مراتب وأنواعا مختلفة. يعتقد ناصر خسرو أنّ جميع الموجودات ظهرت علي ساحة الوجود بواسطة كلمة الأمر التى تصدر من البارى تعالى. كلمة الأمر تخلق العقل وبواسطة العقل تخلق النفس ومن النفس تخلق الطبيعة والعالم الجسمانى. «خرد دان اولين موجود زان پس نفس وجسم آنگه نبات و گونه حيوان و آنگه جانور گويا.» (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١)

_اعتبر العقل أول مخلوق، ثم النفس، ثم الجسم، ثم النبات والحيوان، ثم الحيوان الناطق.

زر و سيم و گوهر شد ارکان عالم چو پيوسته شد نفس کلی بر ارکان

(نفس المصدر: ٣٩)

_إن أركان العالم أصبحت من الذهب والجواهر بعد اتصال النفس الكلية بتلك الأركان.

إن اعتقاد ناصر خسرو فى ظهور العالم نابع من رأى أبى يعقوب السجستانى. (السجستانى، ١٣٦٧ش: ٢٩و١٧) وهذا الرأى يشبه رأى أفلوطين- فيلسوف الأفلاطونية الحديثة -وقد ظهرت بوادر هذه النظرية وسيرها النزولى والعقول العشرة عند أرسطو أول مرة. وقد استخدمها أبونصر الفارابى فى العالم الإسلامى لأول مرة و تلاه ابن سينا. وفى كلمة واحدة يعتقد ناصر خسرو أن «النفس الكلية جوهر مبدع شريف.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٣٣) وهو يطلق علي الجوهر اللطيف الذى ينسجم مع الجسم، النفس الكلية ويقول: «إذا دعاها أحد بغير هذا الاسم، فنحن لا نضايقه علي الاسم.» (نفس المصدر: ١٧٥) يعتقد ناصر خسرو «أن النفس الكلية جوهر بسيط ذو روح وحى بذاته وعليم بالقوة الكامنة وفاعل بالطبع وهى صورة من صور العقل الفعال.» (نفس المصدر: ٨٩)

و«فى ترتيب الصوادر، خلقت النفس الكلية بواسطة العقل من كلمة الأمر الإلهى» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٥) وكما أن العقل خالقها (النفس) فيعتبر هذا العالم من صانعها. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٣٤٥) «والنفس الكلية صانعة العالم الجسمانى.» (نفس المصدر: ١٧٨)

كيفية صنع العالم

إن العالم فى رأى ناصر خسرو عبارة عن منزل، وعمر الإنسان بمثابة ممر يعبر منه الناس ليصلوا عبر هذا المنزل إلى صانع العالم. (نفس المصدر: ٤٦٤) و«لم تنشأ الدنيا لنفسها وإنما خلقت من أجل خلق الإنسان» (نفس المصدر: ٤٦٣) إن «سلسلة الصوادر كانت ضمن

www.SID.ir

مراتب التكوين. وقد أنشـئ العقل الأول بعد أمر "كن" وبعد العقل خلقت النفس. تصنع النفس، العالم من الهيولى والصورة. والهيولى عبارة عن جوهر بسـيط تظهر فيه الصورة.» (ناصر خسـرو، ١٣٦٣ق: ٨٧) يعتقد ناصر خسـرو أن العقل لا يمكنه الإحاطة علي صنع العالم ولكنه يشرح فيما بعد أن النفس صنع هذا العالم الجسمانى من الهيولى الأول. وهذه الطريقـة فى الصنع هى من عطاء البارى تعالى ليخلق من الهيولى الأفلاك التى هى بمثابة الجسـم. (ناصر خسـرو، ١٩٩٨م: ١٤) فبهذا تكون النفس صانعة وهى صفة مشتركة بين النفس الكلية والخالق ويتابع الحكيم الشاعر داحضا هذا الرأى بقوله «ولكنها أى النفس ليست ذلک الفرد الأحد الصمد لأن الله تعالى هو كذلک لا غير.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ١٧٨) ذلک «لأن الله تعالى هو من أوجد هذا الجوهر اللطيف الفاعل وزوّده بالعقل وقدرة التميـز والتفكر والتدبّـر وهذا هو الجوهر الفاعل كما أن الجسـم جوهر منفعل.» (نفس المصدر: ١٧٥) وفى رأى ناصر خسرو، الخالق فوق الوجود:

تـا نشناسـى تـو خداونـد را مدح تو او را همه يک سر هجاست
تا نبرى ظن كه خدايسـت آنک بر فلک و بر من وتو پادشاست
بل فلک و هرچه درو حاصل‌ست جمله يکى بنده ى او را سزاست

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ ق: ٤٥)

_ ما دمت لم تعرف الخالق سيكون مدحک تجاهه مجرد كلمات.
_ وما دمت لاتعتقد بأن الله مالک كل شيء من الناس والأفلاک.
_ بل الأفلاک وما فيها ينبغى أن تكون عبدا لذلک المعبود.

آثار النفس الكلية

إن النفس الكلية مستفادة من جهة ومفيدة من جهة أخري وهى تستفيض من العقل العـام وتفيـد المراتب التى تليها واحدة تلو أخري وآثارهـا تظهر إما عامة أو خاصة، فآثار الأولى تشـمل جميع العالم وتسع كل ما فيها من النفس النامية والحسية والناطقة والروائح والألوان، ولكن الآثار الخاصة فهى خاصة للأنبياء الذين هم من طلبوا تلک الآثار. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٩٨)

Archive of SID

www.SID.ir

سمات النفس الكلية

۱- رغم الشرح الذى تطرق إليه الشاعر إلا أن «النفس الكلية محجوبة عن العيون.» (ناصر خسرو، ۱۹۹۸م: ۱۲)

«جان و خرد از امر خدايند ونهانند، پيدا نتوان كرد مرا اين جفت نهان را.» (ناصر خسرو، ۱۳۸۷ش: ملحق ٤)

_ إن النفس والعقل من أمر البارى تعالى وهما مخفيان ولا يمكن أن تجدهما.

۲- «والمعروف عن النفس الكلية أنها لطيفة.» (نفس المصدر: ۱۳) و«هى من جوهر الملائكة.» (ناصر خسرو، ۱۳۸۵ق: ۱۷۵)

۳- «النفس الكلية قائمة بذاتها.» (نفس المصدر: ٤٤٨)

٤- «النفس الكلية تستفيض من العقل الكلى.» (نفس المصدر)

٥- «النفس الكليــة فاعلة.» (نفس المصدر: ۱۷۵) والصفة التى تميّز النفس عن أى شىء آخر هو طبعها « فالنفس فاعلة بطبعها.» (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ق: ۱۰۲)

٦- «ومن أفعال النفس الكلية صنع هذا العالم، ومن أشــرف أفعالها إيجاد البشــر.» (ناصر خسرو، ۱۳۸۵ق: ٤٤٩)

النفس الجزئية

إن «النفــس جوهر مبدع يحظي بقوة لامتناهية. ويطلق علي ذلک الجوهر الخافى فى نطفة الحيوانات والبشــر وأصل النبات، النفس وهــو جوهر مبدع وكل ما هو مبدع لا يكون جزئيا وكل ما هو غير جزئى قوته لامتناهية وكل ما هو خاف فى النطفة لامتناه، كل حسب قدرة الأشخاص.» (نفس المصدر: ٦٤)

در عقــل واجبــست يكــى كلى اين نفس‌هاى خرده اجزا را
او را بــه حق بنده ى بارى دان مرجع بدوست جمله مر اين‌ها را
او را اگر شــناخته اى بى شک دانســته اى ز مولــى مــولا را

(ناصر خسرو،۱۳۸۷ش: ۷۷)

_ فى العقل من الواجب أن تكون النفس كلية من بين هذه الأجزاء

_ واعتبر تلک النفس عبدا للبارى لأن مرجع جميع هذه النفوس إليه

Archive of SID

www.SID.ir

_ إذا ما عرفتها فلا شک أنک قد ميّزت بين المولى و المولى

من بين المخلوقات، يعتبر الإنسان خلاصة العالم بل ما يعادله وهو الهدف الأساسی من خلقة الكون كله. «الإنسان عصارة الخلقة وخلاصتها وما يدعي العالم الصغير.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٠٣) وهذا العالم يتكوّن من جزئين، الجسم والنفس «ومن الخلقة الأخري صورة نفس الإنسان وجسم الإنسان ينبغی أن يكون فی مرتبة تخرج منه النفس العالمة.» (نفس المصدر: ١١٠) والفرق بين نفس هذين الجزئين، هو أن جسم الإنسان صورة حية ناطقة معرّضة للفناء، أما نفس الإنسان فهی صورة حيّة عالمة غير معرّضة للفناء. (نفس المصدر) خلق الله جوارح الإنسان وسيلة لرفع احتياجات الجسم وخلق العقل المدرک وسيلة لتكريم النفس، ولكن ناصر خسرو يعتقد بما أن الجسم فانٍ، والنفس والعقل باقيان وبما أن الثواب والعقاب تابعان للنفس، فإنّ الهدف من خلق الإنسان إنشاء النفس والعقل الجزئی وكما أنّ الجواهر وطباع النفس الكلية صنعت العالم، فلابدّ للإنسان صاحب النفس الجزئية أن يبتكر أشياء لم يتطرق إليها العالم مع كل ما يمتلكه من قدرة وعظمة مثل صناعة الإستر من الخيل والبغل وصناعة البريسم من الحجر وورق التوت من دودة القز. «إن نفس الإنسان جزء من النفس الكلية وليس أثرا لها.» (نفس المصدر، ١٢٥)

نفس ما بر آسيا كی پادشا گشتی به عقل گرنه نفس مردمی ازكل خويش اجزاستی

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٠٦)

_ متی ملكت نفسنا العالم بالعقل، لأن نفس الإنسان جزء من الكل

وقد ظهرت النفس فی العالم بواسطة الأجرام[١]. والنفس الجزئية سبب الطباع فی أجسامنا. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ١٩١) وإنها لوح الرحمن، وبالنفس تعرف درجات الخلق. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٦٤)

صانع مصنوع را تو باشی فرزند پس چو پدر شو كريم و عادل و فاضل (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٦١)

١. يقول سنائی فی هذا الشأن أيضا:

از درونت نگاشت صنع اله نه ز زرد و سپيد و سرخ و سياه

وز برونت نگاشته افلاک ازچه ازبادوآب وآتش وخاک

Archive of SID

www.SID.ir

_ أنت ابن صانع كل مصنوع، فكن كالأب كريما وعادلا وفاضلا.

إن للنفس الجزئية صفاتا وسماتا وهى عبارة عن:

١- «أن النفس حية بذاتها لا تموت.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٦٩)

٢- «إن نفس الإنسان مجبولة علي التجسس.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٢)

٣- «والنفس فى غنى عن الجسم.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٢١)

٤- «الكائن الحى يحتوى علي أجسامنا نحن الأنفس.» (ناصر خسرو، ١٩٩٨ق: ٢٢)

٥- «إن فعل النفس بدون جسد يتمثل بالعلم.» (نفس المصدر: ٢٣)

٦- «بما أن النفس ليست بحاجة إلى مكان فلا يوجد مكان فى الجسم خاليا من النفس ولو كان دون نفس لما كان يتمتع بالحياة والتحرك.» (نفس المصدر: ٢٥) و«إن كان يعتقد بأن مكان النفس الجزئية فى جسم الإنسان يتمثل بالقلب وتوسطه فى الجسم يجعل النفس تنتشر فى الأطراف المحيطة به.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٣٨)

مراتب النفس

اعتبر أرسطو فى كتاب النفس أن أجزاء النفس لامتناهية ويذكر أفلاطون ثلاثة أقسام للنفس وهى: ناطقة وإلهية وغضبية وحيوانية ونباتية نامية أو شهوانية. (الرازى، ١٣٧٨ش: ٢٣) وفى علم النفس قسم القدامي الحواس المدركة إلى قسمين الظاهرة والباطنة. والحواس الظاهرة هى البصر والسمع والذائقة واللامسة والشامة. وأما الحواس الباطنة فهى: ١- الحس المشترک أو البنطاسيا الذى يعرف فى علم النفس بالإدراک الحسى ٢- القوة الخيالية أو المصورة وهى مخزن الصور الجزئية للحس المشترک ٣- قوة الوهم أو المتوهمة أو الواهمة والوهمية التى تدرک المعانى غير المحسوسة الجزئية وهى كالقوة التى تحكم باستنفار البهيمية (الذئب) ٤- القوة الحافظة وهى مخزن للمعانى الجزئية الوهمية ٥- القوة المتخيلة أو المتصرفة والتى تعرف فى علم النفس بالتخيّل الإبداعى وله مجالات واسعة وهو موقع للتصورات التى تتخيلها الأذهان البسيطة ما تعتبر مكانا للمضامين الجديدة والاختراعات ونظريات الفلاسفة. (ابن سينا، ١٣٣٣ش: ٦٤)

يقسم أبو يعقوب السجستانى الأشياء فى العالم إلى ثلاثة أشياء: الجماد والنبات

www.SID.ir

والحيوان، ويعتقد بأن النفس لاتنزل علي القسمين الأولين، «لأن النفس تجرى فى الحياة الحسية وفى الاعتدال العقلى وهذا لايتحقق إلا فى الإنسان» (السجستانى، ١٣٦٧ش: ٢٧) ويعتقد أحد علماء الإسماعيلية أيضا أنه لايوجد بين المحسوسات و المعقولات فى هذا العالم جوهر أرقي وأشرف من جوهر الإنسان وهو ما يسمي بالنفس الناطقة وبها أصبح الإنسان أفضل الكائنات وأفضل من أى جنس آخر فى هذا العالم. (أبو حاتم الرازى، ١٣٧٩ش: ٢٣) ويعتبر ناصر خسرو الإنسان أفضل المخلوقات وفقا للآية الكريمة «ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٧٩) كما أنه يعتقد بأن «الإنسان يتشكل من جوهرين: أحدهما لطيف علمى وهو النفس والثانى قذر عملى وهو الجسم ومن يستخدم هذين الجوهرين فى طاعة الخالق يكون عادلا.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٢٤) يقول ناصر خسرو إن الإنسان يأتى إلى هذا العالم جاهلا فاقدا للمعرفة وفى هذا العالم تعتبر أسباب العلم تمهيدا لتلقى العلوم وتنمو قوة التفكير فى داخل الإنسان. ويري ناصر خسرو أن للنفس قوة تأتى فى مراتب مختلفة بعد امتلاكنا إياها ومن ثم تعرف بأسماء ملائمة مع خصائصها.[١] ويستخدم الشاعر أحيانا نفسا معينة يخاطبها بأسماء متنوعة وهى:

النفس النباتية

«إن النفس فى هذه القوة الشهوانية تساوى النبات.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٩٥) والقوة الشهوانية تتمثل فى الصورة الجسدية، لأن الجسد يستطيع من خلال هذه القوة جذب الطعام وتسمي هذه النفس النامية. ويترجمها ناصر خسرو إلى الفارسية ويقول: «النفس النامية أى رويندە وافزايندە.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٠) و«هذه النفس المتحركة تسير نحو النمو.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٣١) ويعبر عنها فى ديوانه بـ"نفس رستنى" أى النامية:

من به يمگان در نهانم علم من پيدا چنانک فعل نفس رستنى پيداست او در بيخ وحب

(ناصر خسرو، ١٣٧٨ق: ٤٤)

١. يعتقد بأن للنفس أربع قوي: النامية، الحسية، الناطقة والعاقلة وإن كان يشير أيضا إلى النفوس الأخري الحسية، النباتية والنطقية (ناصر خسرو، ١٣٨٥: ٢٥٢) والمراتب الثلاثة الطاعمة والنامية والناطقة. (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ١٠) ويشترک الحيوان فى القوة الشهوانية للنبات وهو النمو ويشترک الإنسان فى القوة الشهوانية والغضبية مع الحيوان.

www.SID.ir

_أنا فی الخفاء وعلمی ظاهر کما أن النفس النامیة بادیة فی کل جذور وبذور.

النفس الحسیة

یمکن القول «إن هذه النفس عنیفة ومتفائلة» (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ق:۱۰) و«الحیوان یمتلک قوتین: الشـهوانیة وهی متفائلة والغضبیة وهی عنیفة وعبوسة ومتجهّمة» (نفس المصدر: ۱۰) و«الإنسان یشـاطر الحیوان فی هذه القوة النفسانیة» (نفس المصدر: ۹۵) ومن جملة الأفعال التی تقودها النفس الحسـیة أو العنیفة، الدفاع عن النفس فی محاولة لطرد العدو، الجماع، طلب الطعام والکسوة والاحتیاجات الضروریة للإنسان. تحث هذه النفس الإحسـاس علي طلب اللذات الجسمانیة (ناصر خسرو،۱۳٦۳ق:۱۳۱) وبعبارة أخري «إنها تجذب اللذات الحسـیة» (نفس المصدر: ۱۷٤) «أما النفس الشهوانیة تأمر بالسوء أی تأمر الناس علي أفعال تخدم الجسم دون أن یرضي لها العقل» (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ق: ۷) «امتلأت الصفات البهیمیة فی نفسـک من کثرة الطعام والمنام، وانشغالک للأمور الشهوانیة أصبحت أکثر من أی عمل آخر.» (ناصر خسرو، ۱۳۸۷ ق: ۲٤۲)

نلاحظ فی النفس البهیمیة أنها لاتمیّز بین الخیر والشر بسبب تعلقها بالعالم الجسمانی وحـبّ الذات والرغبة للبقاء. ربما تفضل هذه النفس، الشـر علي الخیر وإن کان ذلک یهـدد بقاءها حیـث التعدی للآخرین یصبح من عادتها وفی هـذه المرتبة تکون النفس أمّارة بالسوء. یعبّر ناصر خسـرو عن النفس الحسیة بالنفس البهیمیة ویعتبرها وضیعة وخسیسـة وجاهلة. (ناصر خسـرو، ۱۳٦۳ق: ۲۰۸) ویعبّر عن هـذه النفس فی دیوانه بعفریت النفس البهیمیة:

دیویست سـتمکاره نفس حسی کو مایه‌ی جهل‌ست و بی فساری

(ناصر خسرو، ۱۳۸۷ش: ۱٤)

_ إن النفس الحسیة عفریت ظالم وهو سبب الجهل والعصیان.

بکش نفس ستوری را به دشنه‌ی حکمت و طاعت

بکش زین دیو دسـتت را که بسیار ست دستانش

(نفس المصدر: ۱۰۸)

اقتل النفس البهیمیة بمدیة الطاعة والحکمة واعتزل عن هذا العفریت، لأن أیادیها کثیرة

www.SID.ir

ومن عادات النفس البهيمية؛ النهى عن العمل بالشريعة، وقبول الدين بالتقليد وهذه من سمات البهائم. لاتميّز بين الخير والشـر بسـبب تعلقها بالعالم الجسمانى وحبّ الذات والرغبة للبقاء. ويمكن أن تفضل هذه النفس الشر علي الخير وإن كان ذلک يهدد بقاءها حيث التعدى للآخرين يصبح من عادتها وفى هذه المرتبة تكون النفس أمّارة بالسوء.

النفس الناطقة

«إن الإنسان إضافة إلى اشتراكه فى قوي النفس مع النبات والحيوان إلا أنه يمتلک قوة ناطقة وأخري عاقلة» (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ق: ۱۰) ويمكن القول إن النفس الناطقة فى الإنسـان بمثابة ملک بالقوة الكامنة والنفس الشـهوانية والنفـس الغضبية عفريتان بالقوة الكامنة. ومن وظّفت قوتُه الناطقة النفسَ الغضبية والنفس الشـهوانية فى الطاعة، أصبح ملكا ومن غلبت نفسـه الغضبية والشهوانية علي القوة الناطقة تحوّل إلى عفريت (شيطان) بالفعل. ويفسر ناصر خسرو هذا الأمر مستندا إلى قول الرسول الأعظم (ص): لكل إنسان شيطانان يغويانه؛ ويستنتج وفق هذا الحديث النبوى الشريف «أن للإنسان نفسا ناطقة ونفسين إحداهما شهوانية وأخري غاضبة عبوسة.» (ناصر خسرو، ۱۳۶۳ق: ۱۱٤) عندما يسيطر الإنسان علي أعماله ويسوق أفكاره فى طريق الخير، تتحقق النفس الناطقة فى وجوده ومن ثم يبلغ مدارج الكمال:

هر كه جان بدكنش را سيرت نيكى دهد زشت را نيكو كند بل ديو را حورا كند

(ناصر خسرو، ۱۳۸۷ ق: ۱۸٤)

_ من سير نفسه الشهوانية فى طريق الخير لحسّن القبيح وحوّل العفريت إلى ملاک.

كما أن ناصر خسـرو يعبّر عن «النفس الناطقة بالنفس المتحدثة التى تسعي للبحث عـن العلـم، فجميع الناس لديهم نفـس ناطقة تبحث عن العلم ومـن خصائصها تلقى العلوم. إن وجود قوة مفكّرة فى هذه النفس يؤدى إلى التفاؤل وحبّ المعرفة عن أسباب الخلقة ومصير الإنسـان بعـد الموت.» (ناصر خسـرو، ۱۳۸۵ق: ۲۲۲) و«قد اختصت النفس الباحثة عن العلم والمعرفة للإنسان حتى يسأل ويتوصل إلى حقيقة تتمثل فى عدم بطلان العالم برمته.» (ناصر خسرو،۱۳۶۳ق: ۱۱)

Archive of SID

www.SID.ir

خرد دوست جان سخنگوی توست که از نیک شـاد اسـت واز بد دژم

(ناصر خسرو، ۱۳۸۷ش: ۳۰)

_ إن العقل صديق نفسـک الناطقة وهی تشـعر بالراحة لکل عمل جميل يصدر من صاحبها وتشعر بالحزن لکل عمل قبيح.

إن النفـس الناطقة تظهر وتتلقي العلم وتصبح عالمة وتعلّم غيرها. (ناصر خسـرو، ۱۳۵۹ق: ۱۰۵) کما أن ناصر خسرو يعتقد بأن الدماغ هو مکان النفس الناطقة. (ناصر خسرو، ۱۳٦۳ق: ۲۸٤)

علـم کان بـود و منـش زرّ و کنـون زرّ سـخن را بـه نفـس ناطقـه کانم

(ناصر خسرو، ۱۳۸۷ش: ۹۷)

_ إن العلـم کالمعـدن والعمل کالذهب والآن أجعل الـکلام الذی هو کالذهب فی النفس الناطقة

بهتر ز بار حکمت بر شاخ نفس بر نيست خوشتر ز قول دانا زی عاقلان شکر نيست

(نفس المصدر: ۷۰)

_ لايوجد ثمر أفضل من ثمر الحکمة للنفس ولاتوجد کلمة أحسـن للعقلاء غير کلمة الشکر.

«إن وجود النفس الناطقة المختصة بالإنسـان تمنح له التفوق علي سـائر الکائنات ولهذا السـبب أصبح أهلا للخطاب الإلهی» (نفس المصدر، ۱۲) و«تمتّع الأنسان بالنفس الناطقة. وبحثه عن سـبب النشـأة والخلقـة وکيفية خلقه کلّها أمور تؤدی إلی سـيطرة الإنسان علي الکائنات الأرضية.» (نفس المصدر)

پادشـاهی يافتَستی بر نبات و بر ستور هرچه گويی "آن کنيد" آن از بُن دندان کنند

(ناصر خسرو، ۱۳۸۷ش: ٦۸)

_ أصبحتَ ملِکا علی النبات و البهائم، کلما تأمرها، تطيع أمرک إطاعة

الوجوه المشترکة والمتمايزة لمراتب النفس

«قد نشـأت النفس النباتية والنفس الحسـية مـن تأثير الأجـرام الفلکية، ولکن النفس الناطقة جوهر إلهی وإبداعی ما يجعلها تستحق التخلق بالصفات الإلهية والبقاء

www.SID.ir

الأبدى.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٩٨-٢٩٧) و«أما النفس الناطقة والأخري الحسية كلاهما يبحثان عن الحياة مع هذا الفرق، أن الناطقة تبحث عن حياة خالدة والنفس الحسية تبحث عن حياة فانية فى هذا العالم. والنفس الناطقة لا تطلب زيادة فى تمديد الحياة فى حين أن النفس النباتية والنفس الحسية تسعيان إلى البقاء فى هذا العالم.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ٢٨٤)

«يعود علو النفس الناطقة وتفضلها علي سائر النفوس إلى تمتعها بالعلم ولهذا يطلق عليها ناصر خسرو النفس المتعلّمة.» (نفس المصدر: ٢٠٨) ذلک «لأن تحرک الإنسان وتفاعله إنما يتحقق بطلب العلم ومعرفة الموجودات.» (نفس المصدر،: ١٣١)

در نفس من اين علم عطايى است الهى معروف چو روز است نه مجهول و نه منكر

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٥٩)

_ هذا العلم فى نفسى، عطاء ربى وهو معروف وظاهر كالشمس فى النهار وليس بمنكر ولا مجهول

«إن النفس النامية والحيوانية (النباتية والحسية) أدنى من النفس الناطقة من حيث المرتبة وإنما خلقتا من أجلهما. ومن وظائف النفس النباتية أنها تغذى الجسم والنفس الغضبية تساعد النفس الناطقة فى قمع النفس الشهوانية وبما أن هاتين النفسين يفتقدان لجوهر معين فإنهما معرّضان للفناء بعد فناء الجسم ولكن النفس الناطقة تبقي إلى الأبد.» (الرازى، ١٣٧٨ش: ٢٣)

قليلا ما يلجأ ناصر خسرو فى كتابه المنثور الذى يحظي بفئة خاصة من القراء، إلى التحسنات اللغوية والبديعية، علي سبيل المثال كان يلجأ إلى التشبيه فى تبيين التعاليم الخاصة به ويستخدم الشجرة كمشبه به فى أشعاره وآثاره المنثورة. وهو يشبه الإنسان بشجرة روحانية والنفس الحسية بغصونها وأوراقها والنفس الناطقة بثمرها (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٨٥) ويشبه النفس الحسية التى تسعي للوصول إلى الآمال المحسوسة بغول وعملاق مخادع:

يكى غول فريبنده ست نفس آرزو خواهت ... (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٠٨)

_ إن نفسک المتفائلة تبدو كغول مخادع ...

وإذا ما سعي الإنسان وراء هذه النفس واختار الجهل والبهيمية وفضّله علي العلم،

www.SID.ir

لغلبت النفس الحسية علي النفس الناطقة. وفى هذه الحالة تصبح شجرة الإنسان خالية من الثمار وتستحق الحرق.

اگـر تـو ز آموخـتن سـر بتابـی نجويـد سـر تو همـی سـروری را
بسـوزند چـوب درختـان بـی بر سزا خود همين است مر بی بری را

_ لن تبلغ العلا إذا استنكفت عن التعلم وطلبه

_ يحرّقون الأشجار الذى لا تثمر ومثل هذه الأشجار تستحق الحرق

يشـير ناصر خسـرو إلى تعبير أبى يعقوب السجسـتانى العالم الإسماعيلى فى القرن الرابع الهجرى فيما يخص اعتقاد السـفهاء فى القضـاء والقدر ويعبّر عن القضاء بالعلم والقدر بالنفس وبعد أن تغلب علي النفس الحسـية بمسـاعدة النفس الناطقة، شبّه نفسه بمن قاسوا أنفسهم بالنفس واقتنعوا بالورق والقش كالبهائم.

_ والآن بعد أن سيطرت علي عقلى ونفسى الناطقة كيف أحذر من نفسى

_ يا من أصبح قلبک مسرورا من القضاء والقدر لاتطلق على اسم البهيمة

_ قول الرسـول أن الإنسان كشـجرة مثمرة أنت أوراقها وأنا ثمرها (نفس المصدر، ١٣٨٧ش: ٦)

النفس المميزة والمفكرة

وإن كان ناصر خسـرو يعتقد بثلاث مراتب وأحيانا أربع مراتب للنفس ولكنه يشير أيضـا إلى النفس المميزة وهى تفضل بين الخير والشـر (ناصر خسـرو، ١٣٥٩ق: ٦٨) والنفـس المميزة هى من تبقى النفس الناطقة علـي دين نبينا محمد صلي الله عليه وآله وتقوم بتأويل المتشابهات، وهو يعبر عن هذه النفس بالقوة المميزة (نفس المصدر، ٣٠٢) ويذكرها فى ديوانه بالنفس المفكّرة:

ز انديشـه غمى گشت مرا جان به تفكر ترسـنده شـد اى نفس مفِكّـر زمفكِّر

_ أصابـنى الهم من كثرة التفكـير والنفس المفكّرة أصابهـا الرعب من التفكير من المفكّر نفسه.

_ بحثت عن طريق مختار العالم والقائد من الشافعى والمالكى وفى كلام الحنيفى

_ سألت عن حقيقة الدين من العربى والفارسى والهندى والتركى والسندى والرومى

Archive of SID

www.SID.ir

والعبرى

_ وطلبت غايتى من خلال التفحص فى الفلسفة والمانوية والصائبية والدهرية (ناصر خسرو، ١٣٨٧ ق: ٢٤٢)

عندما يبحث ناصر خسرو عن الحقيقة نراه يغوص فى غور تعاليم الفِرق المختلفة ويقارن بين الصواب والخطأ ويسأل عن الأطياف المختلفة ويتأمل فى أفكارهم دون هوادة، ثم يختار طريقه الخاص المتمثل فى الشيعة الإسماعيلية ويسّمى نفسه النفس المفكّرة وهى تمتاز بسمات النفس المميّزة.

النفس العاقلة

تعدّ النفس العاقلة أعلي مرتبة من مراتب النفس المختلفة. وإن كانت النفس الناطقة أعلي مرتبة من النفس الحسية والنفس النامية وتجعل الإنسان متمايزا عن سائر الموجودات ومسيطرا عليها، إلا أنها مازالت تأتى دون مرتبة النفس العاقلة، ذلک لأن النفس الناطقة لاتكون عاقلة إلا بعد تلقيها العلم وإلا فبقيت فى مرتبة القوة الكامنة ومن الممكن أن تكون فى يوم من الأيام عاقلة (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٤٢) والنفس العاقلة هى ما يمكن قبول علمها ودينها وتوحيدها (نفس المصدر) وهذه النفس هى المحافظة عن سائر الأنفس. كما يشير ناصر خسرو فى ديوانه إلى أن نفسه الناطقة بدأت تبحث عن العلم بعد سن الثانية والأربعين. وهو يبيّن مراحل تطور النفس علي النحو التالى:[١]

_ مرت ٣٩٤ سنة من الهجرة ووضعتنى أمى فى موقع أغبر

_ والنفس الفاقدة للعلم كالنبات الذى ينشأ عن تراب أسود وماء مقطر

_ ومن مرتبة النبات وصلت إلى مرتبة الحيوان وتوقفت فى هذه المرتبة لفترة حتى قفزت كالطير

_ وفى المرحلة الرابعة ظهرت ملامح الإنسان فى وجودى كالنفس الناطقة وسجنت فى هذا الجسم المكدّر

١. يقول مولانا جلال الدين البلخى بهذا الخصوص: مت من مرحلة الجماد وأصبحت فى مرتبة النفس النامية ومت من هذه المرحلة وتحولت إلى مرتبة الحيوان وبعد هذه المرتبة أصبحت إنسانا فلا داعى للخوف من الموت.

www.SID.ir

_ وبعد مرور ٤٢ عاما بدأت نفسى الناطقة تبحث عن العلم

مكانة النفس العاقلة

يعتبر ناصر خسرو فى تفسير الآية الكريمة الرابعة من سورة الهمزة ﴿كلاّ لَيُنبَذَنّ فى الحُطَمَة وما أدراكَ ما الحُطَمَة نارُ اللهِ المُوقَدةُ التى تَطلّعُ عَلَي الأفئِدَة﴾، والآية الكريمة ١٩٣ من سورة الشعراء ﴿نَزلَ به الروحُ الأمينُ علي قلبک﴾، «يعبّر عن القلب بالأفئدة ويعتبرها النفس العاقلة والقلب هو الفؤاد وليس المقصود منه شكله الظاهرى ولكنه النفس العاقلة التى تتصل بالقلب.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٢٦)

النفس القدسية

يقسم ناصر خسرو الموجودات كلا وفق النفوس الخاصة بها، فالنباتات أعلي مرتبة من الطبائع بسبب امتلاكها النفس النامية، والحيوانات أعلي مرتبة من النباتات بسبب تميّزها بالنفس الحسية والإنسان بامتلاكه النفس الناطقة يكون أعلي مرتبة من الجماد والنبات والحيوان ومتفوق عليها ومن بين الناس، يفوق شخص علي الجميع وهو النبى الأكرم (ص) ويفسر ناصر خسرو هذا الأمر علي الطريقتين التاليتين:

الف- يعبر عن جميع الناس بالنفس الحسية والنبى بالنفس الناطقة (نفس المصدر: ٨٧-٨٦) ولهذا علي النفس الحسية امتثال أوامر النفس الناطقة.

ب- ويعتقد أن للأنبياء نفسا قدسية وإذا ما اتصلت هذه النفس بالشخص لأصبح ذلک الشخص نبيا وفى تصنيف الناس من جهة وترجيح الأنبياء علي سائر البشر من جهة أخري يستند إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف ﴿ورَفَعنا بَعضَهم علي بَعض دَرَجاتٍ ليتّخذ بَعضُهم بَعضا سُخريا﴾ كما أنه يعتقد بأن «صلة النفس القدسية بالنبى، تجعل من الممكن قبول كلام الروحانيين دون صوت وحرف وكلمة ومن ثم يمزج بين الحروف والأصوات ويبلّغها للأنام.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ٢٢٤). فى هذا الإطار يقوم الشاعر بمقارنة النفس القدسية التى تختص بالنبى مع النفس الناطقة التى تختص بالإنسان ويعتقد أن «النفس القدسية الخاصة بالنبى توازى النفس الناطقة الخاصة بالناس وكما أن أصحاب النفس الناطقة يستولون علي أصحاب النفس الحسية فإن

Archive of SID

www.SID.ir

أصحاب النفس القدسية أيضا لديهم قدرة الاستيلاء علي أصحاب النفس الناطقة.» (نفس المصدر: ٢٢٣) ويقارن الشاعر العالم الديني بأنواع الأنفس ويستدل بأن الجسد يبدأ بالنفس النامية والعالم الديني يبدأ بالنفس الناطقة وكما أن كمال الإنسان يتحقق في النفس الناطقة، فإن الإمام أيضا وهو آخر المؤيدين يخرج الناس من ظلمات الفناء إلى نور البقاء، والنفس الشهوانية تجعل الإنسان حريصا علي البحث عن الطعام والشراب بغية بقائه كما أن الإمام أيضا يجعل الناس حريصين علي تأويل الحق. (نفس المصدر: ١٧٥)

عودة النفس وروح التناسخ

يعتقد ناصر خسرو «أن النفوس الجزئية تكون متساوية في بداية اتصالها بالأجساد وبعد تلقيها العلوم تصبح متفاوتة.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٣٦) «تأتي النفس الجزئية جاهلة في هذا العالم دون أي جوارح وبعد امتلاكها الجوارح كالعين والأذن والقلب واللسان، تكسب العلم» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٦٢) ويستند إلى الآية الكريمة ٩٤ من سورة الأنعام: ﴿لَقَد جِئتُمُونا فُرادَي كَما خَلَقناكُم أولَ مَرّةٍ وتَركتُم مَا خَوّلناكُم وَراء ظُهُورِكُم﴾ ويستنتج بأن «النفس المجردة من العلم، لايمكن الإتيان بها إلى العالم.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ٨٤)

_ يا من أتيت إلى هنا إياك أن تذهبي كما أتيت دون غذاء وماء وكساء (نفس المصدر، ١٣٨٧ش: ٢٣٢)

ومن هنا يصنف ناصر خسرو «النفوس إلى صنفين الجاهلة والعالمة ويري أن النفس الجزئية تأمل في الوصول إلى العقل الكلي بسبب وجود النفس الكلية.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ١٢٦) «وفي حال خروجها من عالم الجهل، لاتدخل عالم الآخرة وتحترق في النار الأثيرية وتستمر في العذاب الأبدي.» (نفس المصدر، ١٩٩٨م: ٦٣) و«تعود النفس العالمة إلى أصلها» (نفس المصدر،١٢٣) و«النفس الجزئية تأمل نعيما من الجنة أعدّت لها في ذلك العالم.» (نفس المصدر: ١٩٧) و«النفس العالمة تدخل عالما لطيفا بعد مفارقتها الجسد وتغرق في لذّة العز والشرف الروحاني.» (نفس المصدر: ١٠٧) ويستند

www.SID.ir

إلى الآية الثانية من سورة الحشر: ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ ويقول إن النفس العالمة إذا ما اقترنت مع العقل، بحكم القياس يتبيّن أن مثل هذه النفس تكون أكثر وزنا من النفس المجردة من العلم وخفة هذه النفس ظاهرة للعيان ويمكن القول إنه وفقا للآية ﴿فأمّا مَن ثَقُلَت مَوازينُه فَهُو فى عِيشَةٍ راضيةٍ وأمّا مَن خَفّت مَوازينُه فأمُّه هاوِية﴾ (القارعة: ٦-٧) «فإن النفس المتحلية بالعقل تكون مطمئنة وهادئة والنفس المجردة من العقل، فهى محرومة من الاستقرار والثبات.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٨٣)

يشير ناصر خسرو إلى فرقة تعتقد بأن تأويل الآيات المتشابهة لايعلمها إلا الله تعالى. وأصحاب هذه الفرقة يعتقدون بالتناسخ ويستندون فى ادعائهم هذا إلى آية يعد الله فيها بإحياء الموتي بالأجساد وإبقاء الأجساد فى النعيم وهو ثواب الجنة أو فى نار جهنم. (ناصر خسرو، ١٣٥٨ق: ٤٢١-٤٢٠) ويعتقد هؤلاء أن الثواب والعقاب تتحققان للنفس فى هذه الدنيا، والشخص السيء يصبح فقيرا ومريضا ويعود إلى العالم والشخص الصالح يصبح غنيا ويتمتّع بالصحة ويدخل الجنة.

يبدو أن «بعض الإسماعيليين فى الشام الذين كانوا يجالسون الغلاة والنصيرية، كانوا يعتقدون بالتناسخ أيضا.» (ناصر خسرو، ١٣٨٤ق: ١٧٥) ومن بين الإسماعيليين فإن أبا يعقوب السجستانى كما يقول ناصر خسرو «عندما ارتفعت عنده حالة السوداء (الماليخوليائى) تحدّث عن التناسخ وقد دعا فى كتبه مثل سوس البقاء وكشف المحجوب والرسالة الباهرة، إلى هذه الفكرة ولكن الحاكم الخليفة الفاطمى رافض رأيه قائلا إنه مصاب بالسوداء.» (ناصر خسرو، ١٣٥٨ق: ٤٢١-٤٢٢) وصف ناصر خسرو هذه العقيدة بالخاطئة وقد لجأ إلى دلائل متعددة لرفضها جملة وتفصيلا ويقول: «ليس جميع الأثرياء يتمتّعون بالصحة الجسدية والنفسية وليس جميع الزهاد والفقراء مرضي.» (نفس المصدر: ٤٢٨) كما يعتقد أن الجسد والنفس يرتكبان الأعمال السيئة والصالحة بالتعاون معا، لهذا تري أحدهما يجزي والآخر يهمل. (نفس المصدر: ٤٢٤) ويشير إلى خواجة الشهيد بو الحسن بخشى صاحب كتاب المحصول الذى كان تناسخيا. ولكن ابنه دهقان الذى امتلك جزيرة خرلان بعد أبى يعقوب لم يكن معتقدا بالتناسخ وقد طعن فى رأى أبى يعقوب فى التناسخ. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١١٢-١١١)

Archive of SID

www.SID.ir

يبدو أن ناصر خسرو لم يطلع علي كتاب كشف المحجوب للسجستانى لأن الأخير يقول فى كتابه «بعد مفارقة النفس للجسد اعتقد بعض السفهاء بأن الأرواح تتقمّص فى الأشخاص، فيتحول نوع إلى نوع آخر وهم تلك الفرقة القائلة بالتناسخ وتعتقد بأن روح الإنسان تتقمّص فى روح الكلب والحمار، وروح الكلب والحمار تنتقل إلى جسم الإنسان وما يقولونه حول الهذيان أسوأ من أى شيء آخر لأنه افتراء عظيم.» (السجستانى، ١٣٦٧ش: ٦٠)

ويقول عند إشارته إلى رأى أفلاطون حول التناسخ: إنه طرح فكرة التناسخ لكى يبتعد الناس عن ارتكاب المعاصى وتخف فيهم الرغبة فى اللذات الجسمانية التى تستوجب العقاب والعذاب. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٤٢٣) وينقل من الفرفورس الذى يتحدث عن اعتقاد اليونانيين بالتناسخ فى كتاب طبيعة الإنسان وهو أن للنفس أنواعا متعددة تنتقل إلى جسد الإنسان، ونفس الحيوان تنتقل إلى جسد الحيوان أى أن الروح تنفخ فى جسم يستحق تلك الروح ويقول أفلاطون إن روح الأشرار تتحول إلى عفاريت والعفريت هو النفس السيئة التى تفارق الجسد. (ناصرخسرو، ١٣٥٩ق: ١١٧-١١٦)

النتيجة

يعتقد ناصر خسرو أن النفس الكلية منبثقة من العقل الكلى وتتمتع بقوة لامتناهية وهى صانعة العالم وأداة الهيولى والصورة، وقد وضعت من جوهر النفس الكلية فى النباتات والحيوانات وهذا الأمر أدي إلى تحقق الوجود فيهما، ويتم بقاء الإنسان من خلال القوي النفسية النباتية والحسية والناطقة وفى حال غلبة النفس الناطقة علي سائر القوي يقوم الإنسان بالبحث عن العلم والحكمة ويصبح ملكا بالقوة الكامنة والنفس المميزة تميز بين الخير والشر ويكون بإمكانها تأويل المتشابهات والنفس العاقلة تقبل التوحيد. وإذا كانت النفس الناطقة من خصائص الإنسان وما يميّزها عن سائر الموجودات، فإن النفس القدسية تميّز صاحبها أى النبى عن سائر البشر وهى تمتاز بقدرة الاحتفاظ بالآخرين.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن سينا. (١٣٣٣ش). علم النفس. به اهتمام على أكبر سياسى. مطبعة الجامعة.

باخرزى، أبو المفاخر يحيى. (١٣٥٤ش). أوراد الأحباب وفصوص الآداب. تحقيق إيراج أفشار. طهران.

خواجه نصير الدين الطوسى، أبو جعفر محمد بن حسن. (١٣٥٦ش). أخلاق ناصرى. تصحيح مجتبى مينوى وعلى رضا حيدرى. طهران: انتشارات خوارزمى.

الرازى، أبو حاتم. (١٣٧٩ش). الإصلاح. منوچهر ومهدى محقق. طهران: مؤسسة مك كيل.

الرازى، محمد بن زكريا. (١٣٧٨ش). الدراسة التحليلية لكتاب الطب الروحانى. به اهتمام مهدى محقق. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى.

زرين كوب، عبدالحسين. (١٣٦٨ش). سرنى. ط٣. طهران: انتشارات علمى.

السجستانى، أبو يعقوب. (١٣٦٧ش). كشف المحجوب. هانرى كربن، طهران: انتشارات طهورى.

سنائى، أبو المجد بن آدم. (١٣٧٤ش). حديقة الحديقة وشريعة الطريقة. تصحيح مدرس رضوى. ط ٤. طهران: انتشارات جامعة.

سهروردى، شهاب الدين يحيى (شيخ الإشراق). (١٣٧٢ش). مجموعة المصنفات. ج٣ (بستان القلوب)، تصحيح ومقدمة سيد حسن نصر. ط ١٠. طهران: مؤسسة الأبحاث.

عطار نيشابورى، فريد الدين. (١٣٧١ش). ديوان الأشعار. تصحيح تقى تفضلى. ط٦. طهران: انتشارات علمى وفرهنگى.

عطار نيشابورى، فريد الدين. (١٣٧٤ش). منطق الطير. تصحيح سيد صادق گوهرين. طهران: انتشارات علمى وفرهنگى.

الكاشانى، عزالدين محمود. (١٣٨٨ش). مصباح الهداية ومفتاح الكفاية. تصحيح جلال الدين همائى. ط١٠. طهران: مؤسسة الطبع والنشر.

كرمانى قاضى، حميد الدين. (١٩٦٠م). الرياض. تحقيق عارف تامر. بيروت: دار الثقافة.

مولانا جلال الدين محمد البلخى. (١٣٦٥ش). مثنوى معنوى، الدفتر الثالث والرابع، به اهتمام رينولد الين نيكلسون. ط٤. طهران: انتشارات مولى.

ناصرخسرو قبادیانى، حكيم أبو معين. (١٣٦٣ق). جمع الحكمتين. به اهتمام الدكتور معين وهانرى كربن. ط٢. طهران: انتشارات طهورى.

ـــــــــــــ (١٣٥٩ق). خوان الإخوان. مقدمة وتصحيح يحيى الخشاب. القاهرة: مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية.

ـــــــــــــ (١٣٨٧ش). ديوان أشعار، تصحيح مجتبى مينوى ومهدى محقق. ط٧. طهران:

Archive of SID

www.SID.ir

انتشارات دانشگاه طهران.

ـــــــــــــ (١٣٨٥ق). زاد المسافرين. تصحيح محمد بذل الرحمن. ط٢. طهران: انتشارات أساطير.

ـــــــــــــ (١٩٩٨ق). گشايش و رهايش. ترجمة محمد هونزائی، لندن.

ـــــــــــــ (١٣٨٤ق). وجه الدين. ط٢. طهران: انتشارات أساطير.

نجم الرازی، نجم الدين أبو بكر عبدالله بن محمد بن شاه اوربن أنوشروان. (١٣٨٧ش). ط١٣. طهران: انتشارت علمی فرهنگی.

نراقی، ملا أحمد. (١٣٧٨ش). معراج السعادة. طهران: انتشارات پيام آزادی.

Archive of SID

www.SID.ir